عروض موقعة ـــ

جعفر، صفاء عبدالسلام على
حبيب الشاروني : الاستاذ القدوة فى الزمن الضنين/ صفاء جعفر عبدالسلام على ؛ إشراف أحمد محمود صبحى .- الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة ، ٢٠٠٣.
٢٥٩ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك ٢- ٣٩٦ - ٣٢٧ - ٩٧٧

حبيب الشاروني
الأستاذ القدوة فى الزمن الضنين

عرض
د. منى أبو زيد
كلية الآداب- جامعة حلوان

من أجمل الصفات الإنسانية وأعظمها صفة الوفاء، وقد عبّر قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عن هذه الصفة بأروع تعبير من خلال كتاب (حبيب الشارونى: الأستاذ القدوة في الزمن الضنين).

هذا الكتاب الذي اجتمع حوله عدد من أساتذة قسم الفلسفة بآداب الإسكندرية وشاركهم العديد من الأساتذة في جامعات أخرى، اجتمعوا جميعًا لكي يحتفلوا بذكرى واحد من الأساتذة العظام الذين قدموا خدماتهم الجليلة والمثمرة في المجال الفلسفي في مصر، بوجه خاص، والوطن العربي بوجه عام، ألا وهو الأستاذ الدكتور حبيب الشاروني.

وقد صدر هذا الكتاب عن قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية في الذكرى السنوية الأولى لوفاة د. حبيب الشاروني، وما أروعه من احتفاء واحتفال، أن يُذكر المفكر بعد رحيله بكتاب يشارك فيه عدد كبير من المهتمين بالمجال الفكري والفلسفي في مقدمتهم الأستاذ الدكتور أحمد محمود صبحي- أستاذ الفلسفة الإسلامية بآداب الإسكندرية الذي أخذ على عاتقه مسئولية الإشراف على هذا الكتاب الجليل، تعاونه الأستاذة الدكتورة صفاء عبد السلام جعفر في الإعداد والتنفيذ، ويعد هذا الكتاب مظاهرة حب وعرفان وتقدير للزميل والأستاذ الراحل، قُدمت فيه أقيم الدراسات وأروع الكلمات تحاول أن تدرس فكر المفكر الراحل وتعبّر عن بعض جوانب شخصه.

وأعتقد أن قارئ هذا الكتاب- على افتراض أنه لم يلتق بالمفكر الراحل- أنه بعد أن يفرغ من قراءة هذا الكتاب سيكون على القدر نفسه من الحب والتقدير لشخص الدكتور حبيب الشاروني وفكره، وهذا يرجع إلى أهمية الدراسات التي قُدمت، وصدق العبارات التي قيلت وقدمت لنا نموذجًا فريدًا من الوفاء والتقدير نتمنى لأقلامنا دائمًا أن تكون على نفس هذا المستوى الرفيع من الحب والوفاء.

ويُعد الدكتور حبيب الشاروني واحدًا من كبار أساتذة الفلسفة في مصر والوطن العربي، عمل بدايةً بكلية الآداب بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، ثم نُقل إلى قسم الفلسفة بآداب الإسكندرية، وفيها

قدم ثمرة عمله وجهده وفكره، وظل بها حتى وفاته في أكتوبر ٢٠٠٢م.

وقد قام المفكر الراحل بالإشراف على العديد من الرسائل العلمية، كما شارك في مناقشة عدد آخر، وقدم إلى المكتبة الفلسفية عددًا من المؤلفات؛ منها ما قدمه في الفلسفة اليونانية، ومنها ما قدمه في الفلسفة الحديثة، والفلسفة المعاصرة.

ففي الفلسفة اليونانية قدم ترجمة لمحاورة (بارمنيدس) لأفلاطون، وقدم تعليقات على فلسفة أفلوطين، وفي الفلسفة الحديثة قدم كتابًا عن (فلسفة فرانسيس بيكون)، أما الفلسفة المعاصرة فقد شغلت الحيز الأكبر من كتاباته، خاصةً الفلسفة الوجودية حيث قدم فيها كتابه (فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية)، وكتاب (فلسفة جان بول سارتر)، وكتاب (الوجود في فلسفة سارتر)، هذا بالإضافة إلى مؤلفات أخرى عديدة يعجز المجال عن ذكرها جميعًا؛ لتعدد اهتماماته الفكرية، وكثرة مؤلفاته الفلسفية.

وينقسم الكتاب إلى مدخل وأربعة محاور؛ يتضمن المدخل سيرة ذاتية للمفكر الراحل، وتصدير بقلم أ.د. أحمد محمود صبحي، وكلمة شكر من د. صفاء عبد السلام جعفر، وكلمة معبرة وحزينة من الأستاذة حنان حبيب الشاروني ابنة الفقيد.

يبدأ أستاذنا الدكتور صبحي كلمته- التي أخذ منها عنوان الكتاب- مؤكدًا على قيمة الوفاء وأهميتها في أن يكتب كل جيل من الأساتذة عن سيرة مفكر من أساتذتهم، ويشير سيادته إلى أنه كان حريصًا عند وضع تصوره الخاص لصورة الكتاب ومحتوياته أن تأتي كل المقالات والدراسات في هذا الكتاب عن فكر الدكتور حبيب الشاروني وشخصه، وأن يقدم كل باحث إما دراسة عن جانب معين من جوانب فكره، أو يقدم دراسة وتحليل لأحد مؤلفاته، بحيث يأتي هذا الكتاب جامعًا لفكر الدكتور حبيب الشاروني وآرائه.

ثم تتقدم د. صفاء عبد السلام بكلمة شكر لكل من ساهم وشارك في هذا الكتاب، وتأتي في نهاية المدخل كلمة الابنة حنان حبيب الشاروني، وتقدم قطعة أدبية رائعة تقطر حزنًا وأسى على رحيل والدها العزيز، فتجعلنا نشاركها أحزانها وندعو لها بالصبر.

ويتضمن المحور الأول من الكتاب مجموعة من الكلمات التي ألقيت في حفل تأبين للمفكر الراحل في احتفال أقامه المجلس الأعلى للثقافة في الثالث من نوفمبر ٢٠٠٢، وشارك في هذه الكلمات الأستاذ محمود أمين العالم، وأ.د. مصطفى العبادي، وأ.د. أحمد محمود صبحي، وأ.د. محمد علي الكردي. بالإضافة إلى كلمات أخرى ألقاها عدد من محبيه، وتلاميذه، وأصدقائه من الأدباء والشعراء، ومن ممثلي الجامعات المصرية من أساتذة ومفكرين.

وقد قدم أ.د. أحمد أبو زيد كلمة نيابة عن جامعة الإسكندرية إلى روح الفقيد، وكانت عنوانها (التجربة الدينية والتحليل اللغوي) ذكر فيها أنه خلال صداقته الطويلة مع د. حبيب الشاروني كانت تجمعهما لقاءات فكرية تمتلئ بالمناقشات العميقة حول الفلسفة والتفكير الفلسفي، وكان أهم موضوعين تدور حولهما هذه المناقشات هو

فلسفة سارتر الذي احتل جانبًا كبيرًا من تفكير حبيب الشاروني، وأيضًا موضوع تاريخ الأديان، ثم تتشعب المناقشات حول موضوعات فكرية أخرى.

ويكتب أ.د. عاطف العراقي كلمة جامعة القاهرة، ويكون عنوانها (حبيب الشاروني.. كما عرفته) يذكر في هذه الكلمة أن يوم وفاة د. الشاروني كان يومًا حزينًا في حياة المشتغلين بالفكر الفلسفي لفقدهم أستاذًا بكل ما تحمله الأستاذية من معان نبيلة وقيم سامية.

ويذكر سيادته أن الفقيد الراحل كان مخلصًا للفكر بغير حدود، فلم يكتب في حياته مقالة واحدة سعى بمقتضاها للحصول على شهرة زائفة، وأنه لم يكتب في موضوع إلا بعد التأمل الطويل، والقراءة المستمرة في بطون الكتب والمراجع، سواء أكانت عربية أم غير عربية، وأنهى كلمته بأن كتابات الراحل الدكتور حبيب الشاروني ستظل معبرة عن النور والتنوير.

وتأتي كلمة أ.د. مراد وهبة ممثلة لجامعة عين شمس، وتحت عنوان (رؤية حبيب الشاروني لسارتر) يذكر د. مراد وهبة أن الدافع وراء اختيار هذا العنوان، هو أن د. حبيب الشاروني كان مهتمًا منذ بدايات حياته الفكرية بهذا الفيلسوف الفرنسي الوجودي، وأصدر عنه كتابين، كما اهتم بقضايا متعددة من قضايا الفلسفة الوجودية، تأتي على رأسها فكرة الحرية؛ فقد اهتم المفكر الراحل بالفلسفة الفرنسية بوجه عام، وبفكر سارتر بوجه خاص، وقدم إلى المكتبة العربية أهم المؤلفات في هذا المجال.

وتأتي كلمة أخرى من المحراب الفكري الذي قدم فيه د. حبيب الشاروني عصارة فكره وثمرة عمله، ألا وهو قسم الفلسفة بآداب الإسكندرية، وعنه قدمت أ.د. راوية عباس شهادة تحت عنوان (رسالة مفتوحة إلى روح الأستاذ الدكتور حبيب الشاروني) سجلت فيها كلمات صادقة تعبر عن شهادتها لأستاذها وعن أخلاقيات مهنة أستاذ الجامعة التي اتصف بها د. حبيب الشاروني بأجلى صورها، وهي صفات اتصف بها، وتعدها ميثاق شرف لكل من يعمل بهذه المهنة. والواجب أن يتصف بها كل أساتذة الجامعة، ويأتي على رأس هذه الصفات صفة الصدق.

وتذكر سيادتها أنها قد تعلمت من المفكر الراحل قيمة الصدق مع النفس ومع الآخرين، كما تعلمت منه حب العطاء، ومحبة العلم. كما كان مثلاً أعلى للأستاذ المهتم بالعلم والأخلاق، والذي يقف دائمًا إلى جانب الحق والعدل في موضوعية وحياد، صريحًا في آرائه، ومتمسكًا بمبادئه.

ويأتي المحور الثاني، ويشمل دراسات حول إسهامات د. حبيب الشاروني في مجال الأدب والدين، وتقدم فيه دراستان؛ الأولى: للأستاذ المفكر محمود أمين العالم، والأخرى: للدكتور ميلاد زكي غالي.

يعرض الأستاذ محمود العالم دراسة عن ديوان شعر قد قدمه د. حبيب الشاروني في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي، وهو نوع من الشعر الحر، أو ما يطلق عليه هذه الأيام قصيدة النثر، ويشير الأستاذ العالم إلى أن شعرية هذا الديوان لا تتدفق عبر بلاغيات تخيلية ومعنوية وفكرية وأخلاقية فحسب، بل وضعت هذه البلاغيات

المختلفة داخل أحداث متوالية متصارعة ذات دلالة مأساوية طاغية، تكاد تجعل من هذه الأحداث قصائد قصصية، وليست مجرد قصائد نثرية.

ويرى الأستاذ العالم أن هذا الديوان الذي أبدعه د. حبيب الشاروني في مطلع حياته يمثل لحظة فارقة بين الشاعر والمفكر في حياته، فقد كان يملك بنية أديب، وكاتب يمتلك ناصية البلاغة العربية في أرقى مراحلها، مما يذكرنا بالجاحظ ومقامات الحريري. وأن حبيب الشاروني في هذه المرحلة المبكرة من حياته كان متراوحًا في اختيار طريق الإبداع الأدبي والإبداع الفلسفي، على أن الفيلسوف انتصر في النهاية على الأديب، فراح يكرس بقية سنوات عمره بإخلاص وتفان للفلسفة.

وينهي الأستاذ محمود العالم دراسته بأن هذا الديوان الشعري لحبيب الشاروني جدير بأن يكون موضع دراسة تفصيلية مدققة لتحديد المعالم الأساسية الأدبية والفكرية لهذا الكاتب الأديب البارع والمفكر العميق والإنسان البالغ الذي ستظل ذكراه عطرًا متجددًا في حياتنا الثقافية.

أما الدراسة الثانية في هذا المحور فهي عن (معجم قبطي عربي) للدكتور حبيب الشاروني، وهي دراسة قدمها الدكتور ميلاد زكي، وقد اختار هذا الكتاب لأهميته؛ فيذكر د. صبحي أن حبيب الشاروني قد خلد اسمه على مدى التاريخ بهذا المعجم بأكثر مما خلده بجميع مؤلفاته في الفلسفة الحديثة والمعاصرة؛ لأنه معجم يهم كل الأقباط في مصر وغيرها، فضلاً عن أن مقارناته القبطية والهيروغليفية تجعله موضع اهتمام علماء المصريات.

وهذا ما يتفق عليه د. ميلاد زكي، واتخذ من هذا الكتاب موضوعًا لدراسته التي قدمها. وكتاب المعجم القبطي قدمه الدكتور حبيب الشاروني مع بعض العلماء وهو قاموس لقواعد اللغة القبطية قام بترجمته من الفرنسية وإعداده بطريقة بحثية تطورية للغة القبطية.

واللغة القبطية هي اللغة التي كان يتكلم بها سكان وادي النيل منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد إلى ما يقرب من القرن الثامن عشر بعد الميلاد. وهي بمثابة اللهجة الدارجة للغة المصرية القديمة.. وقد اختلف علماء القبطية في عدد لهجاتها، وبهذا الكتاب الذي تركه د. حبيب الشاروني يكون قد ترك لنا كنزًا ثمينًا خلد به اسمه مع المبدعين والمبتكرين.

ويشتمل المحور الثالث من الكتاب إسهامات الدكتور حبيب الشاروني في الفلسفة اليونانية من خلال دراستين؛ الأولى: قدمها أ.د. محمد فتحي عبدالله، وهي دراسة لتعليقات د. حبيب الشاروني على بعض مسائل الفلسفة اليونانية خاصةً عند أفلاطون وأفلوطين.

ويشير د. محمود فتحي إلى أن تعليقات الفقيد الراحل على الفلسفة اليونانية تكشف عن إلمام واسع بالفلسفة اليونانية، عن استيعاب جيد لمسائلها؛ حيث ألم بمحاورات أفلاطون وكذا تاسوعات أفلوطين، وقد صنف هذه التعليقات في مبحثين الأول لعرض تعليقاته على بعض مسائل الفلسفة الأفلاطونية مثل: المثل، والفروض، والقسمة الثنائية، والمبحث الثاني خصصه لدراسة تعليقاته على فلسفة الأفلاطونية المحدثة التي بلغت أوج اكتمالها، وتمثلت في أكمل صورة عند فيلسوف

مصري المولد والجنس، يوناني اللغة هو أفلوطين، وقد جمع هذا الفيلسوف في فلسفته بين عناصر متعددة، بعضها عناصر أفلاطونية، وأخرى أرسطية، وثالثة شرقية، وانتهى إلى تجربة تأملية صوفية أصيلة، اعتبرها الغاية النهائية من الفلسفة. وقدم د. الشاروني تعليقاته على فلسفة هذا الفيلسوف المصري الخالد.

أما الدراسة الثانية في هذا المحور فقدمتها د. أميمة ضياء الدين سوكة، وهي عن ترجمة د. حبيب الشاروني لمحاورة بارمنيدس لأفلاطون، تشير في هذه الدراسة إلى أن هذه الترجمة جاءت ضمن أعمال المشروع القومي للترجمة الذي يرعاه المجلس الأعلى للثقافة، وهي ترجمة عن الفرنسية أساسًا، إلا أن د. حبيب الشاروني رجع في أثناء الترجمة إلى ترجمتين أخريين، بالإضافة إلى النص اليوناني عندما تختلف الصياغة بين الترجمات الثلاث، وقد أشار د. الشاروني إلى أن هذه الترجمة يقدمها إلى القارئ خالية من الهوامش والتعليقات حتى لا يشتت ذهن القارئ، وأنه سوف يضمن تعليقاته على المحاورة في كتاب خاص شرع في كتابته، ولكن القدر لم يمهله حتى يتم هذا العمل.

ويأتي المحور الرابع والأخير من هذا الكتاب تحت عنوان (دراسات حول إسهامات الأستاذ الراحل في الفلسفة الحديثة والمعاصرة)، وتشمل دراسات متعددة حول فكر د. حبيب الشاروني، فيها دراسة عن (فلسفة فرانسيس بيكون للدكتور حبيب الشاروني، عرض تحليلي ونقدي). وقد قدمت هذه الدراسة د. سناء عبد الحميد خضر، وتطرح في بداية دراستها سؤالاً فحواه هل من الصدفة أن يختار د. حبيب الشاروني الفيلسوف فرانسيس بيكون للكتابة عنه، أم أنه الموقف الفلسفي الخاص الذي فرض عليه الكتابة عن هذه الشخصية الهامة في تاريخ الفلسفة والعلم معًا، وأن سبب اهتمامه بفلسفة بيكون ترجع إلى مجموعة من الجوانب الإيجابية والسلبية عند بيكون، ثم قيمة بيكون الفكرية، ومن الجوانب الإيجابية دعوة بيكون إلى الشك وتطهير العقل من المفاهيم والأوهام السابقة، ثم الإيمان المطلق بالعلم.

وتأتي الدراسة الثانية في هذا المحور للأستاذ الدكتور عبد الوهاب جعفر وهي عن (الاغتراب الديكارتي عند الدكتور حبيب الشاروني)؛ ويُعرِّف معنى الاغتراب بأنه مصطلح نشأ في اللغة اليونانية، وجاء في أشعار هوميروس ليصف حال من لا قبيلة له ولا قلب ولا قانون، كما استخدمه الفيلسوف ديكارت، واستخدمته كذلك وبصورة أوسع الفلسفة الوجودية.

وقد استخدم د. حبيب الشاروني هذه الفكرة الديكارتية في مقالة له بعنوان (الاغتراب في الذات) وكان عميقًا في كشفه لدقائق الفلسفة الديكارتية تمامًا، كما هو الحال بالنسبة لكل الدراسات الفلسفية التي قدمها لقراء الفلسفة.

وفي نهاية هذه الدراسة القيمة يقدم د. عبدالوهاب جعفر شهادة حق عن الدكتور حبيب الشاروني الذي يلقبه باسم (الأستاذ القدوة) يقول فيها أشهد أن الفقيد رحمه الله كان يتنزه تمامًا عن أي غرض في أعماله الأكاديمية سوى إحقاق الحق، ودفع الظلم عن طلابه وزملائه مهما كلفه ذلك من جهد وعناء.

والدراسة الثالثة حول رسالة الماجستير التي

حبيب الشاروني ـــ
وجودًا حقيقيًا). وقد كان د. الشاروني قد قدم تفسير سارتر للموت واختلافه عن التفسير الأنطولوجي للموت عند الفيلسوف هايدجر؛ إذ إن الوجود الحقيقي موضوع دائمًا أمام الموت باعتباره قريبًا، وتذعن الأنينة للموت، وتجعل نفسها حرة أمام الموت في شعور العدم الذي يشمل الوجود كله، ومشكلة الموت تقودنا إلى إثارة مشكلة الزمان ما دام الأصل في الموت إنما هو زمانية الوجود البشري، ومن هنا كان الوجود الحقيقي لا يتم إلا بالموت.

وتتوالى الدراسات وهي دراسات هامة وقيمة، ولكن يضيق المجال لعرضها جميعها، وكلها دراسات حاولت أن تلقي الضوء على جوانب من فكر هذا المفكر الراحل الذي ترك لنا عمرًا يطول أكثر وأكثر من عمره الزمني، وهو عمر يوازي دراساته وكتاباته الخالدة.

تقدم بها د. حبيب الشاروني للحصول على درجة الماجستير في الفلسفة، وهي عن (قضية الحرية في فلسفة كل من برجسون وسارتر)، وقدم هذه الدراسة الأستاذ الدكتور محمد علي الكردي، ويشير في هذه الدراسة إلى أن د. الشاروني اهتم في هذه الدراسة بتأصيل مفهوم الحرية، كما عمل جاهدًا على إبراز الخلفية التاريخية والاجتماعية والفكرية التي ساهمت في تشكيل هذا المفهوم، وأضفت عليه دلالاته الخاصة.

وكان د. حبيب الشاروني يعتقد بأن حركة التمرد التي جسدها نوع معين من الأدب ضد القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد الراسخة، كان له كبير الأثر في إبراز الإحساس بهذا الاتجاه بعد زعزعة القيم والمثل، كما ولد إحساسًا بالقلق والجزع من هذه الحرية.

وتقدم د. صفاء عبد السلام جعفر دراسة أخرى عن الفلسفة الوجودية ودراسات د. حبيب الشاروني حولها، وتختار موضوعًا ربما كان ملائمًا لمناسبة هذا الكتاب، وعنوان دراستها هو (الموت